د. محمد عمارة

الخطاب الدينى

بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى

مكتبة الشروق الدولية

الخطاب الديني

بين

التجديد الإسلامي... والتبديد الأمريكاني

الطبعـــة الثانية
١٤٢٨ هـ ـــ مايو ٢٠٠٧ م

٩ شارع السعادة ـ ايراج عثمان ـ روكسي ـ القاهرة
تليفون وفاكس: ٤٥٠١٣٣٩ - ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٢٥٦٥٩٣٩
Email: < shoroukintl @ hotmail. com >
< shoroukintl @ yahoo.com >

د. محمد عمارة

الخطاب الدينى

بين

التجديد الإسلامى... والتبديد الأمريكانى

مكتبة الشروق الدولية

تقديم

منذ إعلان الإدارة الأمريكية، الممثلة «للمحافظين الجدد» المتحالفين مع «المسيحية الصهيونية» و«اللوبى الصهيونى» منذ إعلانها الحرب على الإسلام - الذى سمته «إرهابًا» - وعلى أمته وعالمه، عقب «قارعة» ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م.. كانت جبهة «الخطاب الدينى الإسلامى» فى المساجد.. والمدارس.. والفكر.. والثقافة.. والإعلام.. واحدة من الجبهات الرئيسية لهذه الحرب المعلنة على الإسلام.

وغير ما كتبه الأمريكيون عن ضرورة «تغيير» الخطاب الدينى الإسلامى.. وغير «الضغوط» و«الطلبات» و«الأوامر» التى عاوستها الإدارة الأمريكية على الحكومات الإسلامية، و«الاعتمادات الدولارية» التى رصدت لهذا «التغيير» للخطاب الدينى الإسلامى - والتى استجابت وخضعت لها الكثير من الحكومات - غير هذا «الفعل الأمريكى المباشر»، وجدنا العديد مما يسمى «بمنظمات المجتمع المدنى»، فى بلادنا، التى يمولها الغرب، والتى تقوم أساسًا على جهود عشرات من المثقفين الماركسيين والمتمركسين والحداثيين المتغربين.. وجدنا هذه المنظمات قد انخرطت فى معركة كبرى تحت شعار تجديد الخطاب الدينى - والإسلامى منه فقط، دون سواه!

وإذا كانت الخبرة الشعبية، قد صاغت ـ منذ الحروب الصليبية ـ تلك الحكمة التي تقول: «من يأكل عيش الخواجه يضرب بسيفه»!..

فلقد كان طبيعيًا لهذه «المنظمات» والمؤتمرات التي تمولها أمريكا والغرب، أن تكون «صوت سيدها»، فتعلن، هي الأخرى، الحرب على الخطاب الديني الإسلامي، مهيلة عليه التراب، وداعية ليس إلى مجرد «تجديده» و«تطويره»، وإنما إلى «تغييره» وأحيانًا «إلغائه» بالعلمانية تارة، و«بتاريخية نصوصه المقدسة» تارة أخرى، بل وبالزندقة التي تجرح المقدسات والثوابت الإسلامية في بعض الأحايين.

* * *

مقدمات ثلاث

ولأن قضية تجديد الخطاب الديني قضية مركبة، بل ومعقدة، وفي الحديث عنها ما هو طيب وضروري ومشروع. وما هو خبيث ومغلوط ومرفوض.. كان ضروريًا أن نقدم بين يدي «فصل المقال» فيها، عددًا من المقدمات:

المقدمة الأولى: أن التجديد في الفكر الإسلامي ولهذا الفكر الإسلامي، ليس مجرد أمر مشروع وجائز ومقبول، وليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم على أهل الذكر والاختصاص من علماء الإسلام.. وإنما هو سنة وضرورة وقانون، وبدون التجديد ـ الدائم والمستمر ـ للفكر والفقه والخطاب الإسلامي، تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية ـ التي هي وضع إلهي ثابت ـ وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع ـ المتغير والمتطور دائمًا وأبدًا ـ الأمر الذي لو ساد الجمود والتقليد ـ في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي ـ يفضي إلى «انفلات» الواقع المتطور من حاكمية الشريعة الثابتة، فيكون العجز عن أن تظل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، فتغيب حجة الله على عباده، وهدايته لخلقه، بعد أن خُتمت الشرائع السماوية بشريعة الإسلام.. فكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء

إلى الإنسان، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، مرهونان بالتجديد الدائم في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي، لمواكبة مقتضيات ومتطلبات مستجدات الواقع، المتطور دائمًا وأبدًا، ولبقاء حجة الله على عباده قائمة إلى يوم الدين.

ولهذه الحقيقة، قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**» ـ رواه أبو داود ـ. ولهذه الحقيقة، تبلور في التراث الإسلامي «فن» من فنون التأليف حول «المجددون في الإسلام»، كتب فيه القدماء وألف فيه المحدثون.

بل لقد اتفق جمهور العلماء على أن التجديد لا يقف فقط عند «الفقه» ـ الذي هو علم الفروع ـ وخاصة في المعاملات ـ وبالدرجة الأولى في «فقه الواقع» المتطور، وفي «تنزيل الأحكام» على هذا الواقع المتطور، ومن ثم في «الخطاب المتجدد»، والمعبر عن هذا الفقه المتجدد.. وإنما اتفقوا ـ أيضًا ـ على أن هناك نوعًا متميزًا من التجديد تحتاج إليه «الأصول»، ليس فقط أصول الفقه، وإنما حتى «أصول الإيمان»!.. ذلك أن البدع والخرافات، والزيادات والنواقص، قد تعدو على هذه «الأصول»، فتطمس حقائقها، وتحجب فعاليتها، وهنا تحتاج هذه الأصول إلى التجديد الذي يزيل عنها ركام البدع والخرافات، لتعود إلى جوهرها الحقيقي، وفاعليتها الأولى.. وذلك مثل «السيف»، إذا علاه الصدأ، فشل فاعليته، فإن تجديده لا يعني تغييره، بل ولا تطويره، وإنما يعني إزالة الصدأ عنه ليعود إلى مضائه وفاعليته الأصلية من جديد.. فحتى في «الأصول» هناك هذا اللون

من التجديد . . ولقد أشار إليه الحديث النبوى الشريف الذى خاطب به رسول الله ﷺ الصحابة ـ والأمة ـ عندما قال :

ـ «**جددوا إيمانكم**» . .

ـ فلما قالوا : يا رسول الله ، كيف نجدد إيماننا؟

ـ قال صلى الله عليه وسلم : «**أكثروا من قول لا إله إلا الله**» ـ رواه الإمام أحمد .

ففى شهادة التوحيد ، رفض لكل الطواغيت التى يعظمها الناس ويعبدونها من دون الله ـ من الشهوات . . إلى الأثرة فى المال إلى الطغيان والاستبداد . . إلخ ـ فإحياء عقيدة التوحيد ، التى هى ثورة تحرير للإنسان من قيود هذه الطواغيت ، هو لون من «التجديد» المطلوب حتى لأصول الإيمان فى الإسلام .

هذا عن مبدأ التجديد للفكر والفقه والخطاب الدينى للإسلام .

والمقدمة الثانية : أن المسلمين ، منذ الاحتكاك العنيف بينهم وبين الغزوة الاستعمارية فى العصر الحديث ـ منذ غزوة «بونابارت» (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م) أواخر القرن الثامن عشر الميلاد ـ قد استجد لديهم «باعث جديد» على التجديد لخطابهم الدينى ولفقههم للواقع وللأحكام . . ذلك أن هذه الغزوة الغربية الحديثة ، لم تكن كسابقتها الصليبية (٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ ـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م) مجرد غزوة سيف وعنف وعضلات وقتال واحتلال للأرض ونهب للثروات ، وإنما زادت على ذلك كله وتميزت بالفكر الذى جاء ليحتل العقل أيضًا ، كى يتأبد احتلال الأرض ونهب الثروات . . لقد جاءت هذه الغزوة بالفكر والكتاب والمطبعة

و لصحيفه و لمشور و« لأبه بوجه» مع مدفع و ... لأبيه كتب ثمرة سهصه لأوروبيه حديثه، و مثوره لتسعة، و مسسة لوصعية و معدية و لاسه و« ... لطبعي» ... حديثه و سي هي اشهرت مكرية لتسعة لسوير لوصعي معدي عربي

و ... هد «معسرو مكري» ... ندي حد ... في كتب «معسرو لعسكري» و حد عصاء مدرسه لاحياء و مجدده و سطه لإسلاميه من حس معص (٨٠ ـ ٢٥٠ هـ/١٧٦٦ ـ ١٨٣٥م) بي حصر ... دين لأفعي (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ/١٨٣١ ـ ١٩٠١ م)، ومحمد عبده (١٢٦٥ ـ ١٣٢٣ هـ/١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م)، ورشيد رضا (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤ هـ/١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م)، ومحمد مصطفى ... غي (١٢٩٠ ـ ١٣٦٤هـ/١٨٨ ـ ٩٤٥ م)، ومصطفى عبد ... ق (١٣٠٢ ـ ١٣٦٦ هـ/١٨٨٥ ـ ٩٤٦ م)، وعبد لمجيد سسه (١٢٩٥ ـ ١٣٧٤ هـ/١٨٨٢ ـ ٩٥٤ م)، ومحمد خضر حسين (١٢٩٣ ـ ١٣٧٧ هـ/١٨٧٦ ـ ٩٥٨ م)، ومحمود شلتوت (١٣١٠ ـ ١٣٨٣ هـ/١٨٩٣ ـ ١٩٦٣م)، ومحمد عبد الله دراز (١٣١٢ ـ ١٣٧٧هـ/١٨٩٤ ـ ٩٥٨ م) وحتى لشيخ محمد لغزالي (١٣٣٥ ـ ١٤١٦ هـ/١٩١٧ ـ ١٩٩٦م) وعشرات غيرهم من علام لتجديد وحد عصاء هذه مدرسه لتجديد لفكر و سقه و حصاب لإسلامي، صبح كتب صروره، عد حتى، لابه هو لسبيل سقيمه «لتدين لإسلامي»، لصبح سنة حيه حب ومطلب مستحدث لوقع حديد، ... ك حتى يحتي بقضيه لإسلامي ... لإسلامي، فه ور «لصح» ندي صعبه خمود و سكسه، و ندي يسعى سعب لوصعي العلماني ملئه و سدد فيه

وبهذه حقيقة [illegible] حقيقة مستجدات دواعي وضرورات [illegible] أعلن الشيخ حسن العطار [illegible] حيث [illegible] جملة [illegible] بلاد [illegible] [illegible] من [illegible] المعارف [illegible] فيها [illegible] ودعا الشيخ رفاعة الطهطاوي [illegible] اللادينية [illegible] في [illegible] فقه المعاملات الإسلامية [illegible] الإسلامي [illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible] الإسلام [illegible] محمد [illegible] (١٢٣٧ - ١٣٠٦هـ / ١٨٢١ - ١٨٨٨م) [illegible] [illegible] الإسلامي [illegible] [illegible] في [illegible] الأحكام [illegible] [illegible] الإسلامي [illegible] [illegible] الإسلامي [illegible] [illegible] هذا [illegible]

وبهذه حقيقة، كانت [illegible] التي [illegible] مدرسة [illegible] [illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible] على [illegible]

* [illegible] [illegible] الإمام محمد عبده عن [illegible] «إنهم وإن أنكروا كثيراً من البدع، ونحّوا عن الدين كثيراً مما ليس منه، فإنهم يرون وجوب الأخذ بما يُفهم من لفظ الوارد، والتقيد به، بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين، وإليها كانت الدعوة، ولأجلها مُنحت النبوة، فلم يكونوا للعلم أولياء، ولا للمدنية أحباء»[1]

* وجبهة التغريب والتقليد للنموذج الغربي، التي قال جمال الدين الأفغاني عن أهلها: «إن المقلدين لتمدّن الأمم الأخرى ليسوا أرباب تلك العلوم التي ينقلونها... فالتمدّن الغربي هو، في الحقيقة، تمدّن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني... ولقد علمتنا التجارب، أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها. وطلائع جيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم»[٢]

ولأن هذه هي حقيقة «الإنجازات التجديدية» التي شهدها الخطاب الديني الإسلامي في العصر الحديث، فقد انتقل هذا الخطاب نقلات نوعية وكيفية عن صورته التي كان عليها، إذ حقبته بتراجع الحضاري، على عهد المماليك والعثمانيين... والذين يقرأون فكر وفقه وخطاب آلاف الكتب التي أبدعها مئات من علماء مدرسة الإحياء والتجديد يدركون كيف أن الخطاب الديني الإسلامي المعاصر قد أصبحت لديه «عقلانية مؤمنة»، متميزة عن «جمود حرفي عند ظواهر النصوص» وعن العقلانية الوضعية اللادينية الغربية، التي تؤول الدين، فتجعله «ديناً طبيعياً» وقراراً بشرياً، لا علاقة له بالدين الإلهي، الذي جاء به نبأ السماء العظيم... كما أصبح لدينا «فقه جديد» يحاول فقه الواقع المعيش، في مختلف ميادين المعاملات الإنسانية... وفكر جديد... وخطاب جديد لإنسان العصر الحديث.

والذي يشهد على صدق هذه الحقيقة، حقيقة تجدد الفكر والفقه والخطاب الإسلامي في عصرنا الحديث، واستمراريته هذا التجديد

في واقعنا المعاصر - هو انحسار حجم مدرسة الجمود والتقليد، التي تنفر أصحابها من العقل والعقلانية، ومن التمدن والتحضر والتجدد والتطور. فبعد تمددها في فضاءات حقبتي المماليك والعثمانيين، أصبح تعداد جمهورها في واقعنا المعاصر لا يتعدى عدة ملايين، من مليار ونصف مليار، هم تعداد حاملي لأمة الإسلام. وما علو صوت «ناقوس» الجمود والتقليد، إلا لسبب جانبي مصنوع وموقوت، وهو الإمكانات المالية النفطية، التي قذفت «الفكر» هذه المدرسة خارج محضنها الصحراوي العتيد.

والمقدمة الثالثة - التي تقدم بها بين يدي دراسة الخطاب الديني هي أن هذا الخطاب الديني، في أية أمة من الأمم وحضارة من الحضارات ودين من الأديان وثقافة من الثقافات، يستحيل أن يكون خطاباً واحداً، وإنما هو دائماً وأبداً عدد من الخطابات. حدث هذا حتى في الفضاءات الفكرية التي عرفت السلطة الدينية المتفردة، والكهانة المتحكمة. ففي ظل البابوية الكاثوليكية، لم تخل الساحات من تنوع في الخطاب الديني الكاثوليكي. ووجود «لاهوت التحرير» - الذي بدأ في أمريكا اللاتينية - شاهد على أن كهانة البابوية الكاثوليكية لم تمنع التنوع في الخطاب الديني الكاثوليكي، وكذلك الحال في الكهانات المسيحية الأخرى - في الأرثوذكسية والبروتستانتية، وكذلك الحال أيضاً في ظل الكهانة اليهودية، حيث نجد اليهودية الأرثوذكسية والإصلاحية وغيرهما. بل وتجددت التنوع في الخطاب الديني داخل الفضاء الشيعي، رغم كهانة نظرية الإمامة، والسلطان الديني لنواب الإمام المعصوم. فهناك ما يجمع

التقدمية والإصلاحية والمحافظة والاجتهادية التي تنوع خطابها الديني في هذا الفضاء. كما أن هناك فروقاً واضحة بين خطاب «الحوزات» وخطاب «الجامعات»، وخطاب الجامع بين الحوزات والجامعات.

وهذه الحقيقة - حقيقة تنوع وتعدد الخطاب الديني - نجدها أكثر بروزاً وتجسداً في فضاء الإسلام السني، حيث لا أبوية ولا كهانة ولا عصمة لعالم دين ولا لمؤسسة من مؤسسات العلم الديني، فالعصمة فقط للأمة، والفتوى غير ملزمة، واجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهد الآخر.

وإذا طرحنا حتى تبادل الرأي - في الواقع الفكري في فضاء الإسلام السني، الذي يمثل ٩٠٪ من عالم الإسلام وأمته، نجد:

١ - الخطاب الوسطية الإسلامية، الذي يمثله - في علم أصول الدين - علم الكلام - «الأشعرية» و«الماتريدية»، وفي الفكر الحديث والمعاصر مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي، وفي مؤسسات العلم الإسلامي الأزهر الشريف، والجامعات الإسلامية التي احتضنت وتحتضن كل تراث الأمة، دون تعصب لمذهب أو فرقة، والتي تسلمهم من التراث كل تراث السلف وأخذت جميعاً - ما هو صالح للإجابة على علامات استفهام الواقع المعيش.

وهذا الخطاب الوسطي، يتميز في «نظرية المعرفة» باعتماد كل من الوحي - كتاب الله المسطور - والكون وعالم الشهادة - سنن الله في الأنفس والآفاق - كتاب الله المنظور - اعتماد هذين المصدرين والكتابين مصدراً للعلم والمعرفة، والقراءة لهما وفيهما معاً.

والاعتماد في «سبل المعرفة» وآلياتها وطرائقها - على كل من «العقل» و«النقل» و«التجربة» و«الوجدان»، لتصبح الثقافة الإسلامية، والخطاب الإسلامي مزيجاً من ثمرات هذه المصادر والآليات والروافد جميعاً. ففي هذا الخطاب يرفق القلب والوجدان الحسابات المجردة للعقول كي تنقذها من الجفاف، وتضبط الحسابات العقلية وتوقظ خطرات القلوب وإلهاماتها كي لا تتحول إلى شطحات. وينقذ النور القلبي والنظر العقلي النص والنقل الديني من الحرفية والجمود، ويسهم كل ذلك في خلق فلسفة إيمانية لتطبيقات حقائق وقوانين علوم «التجربة والحواس» - العلوم الطبيعية والمادية - لتكون هي الأخرى علوماً مؤمنة، يصبح علماؤها هم الأكثر خشية لله - سبحانه وتعالى - خالق المادة التي فيها يبحثون، والعقل والحواس التي بها يكتشفون الأسرار التي أودعها، سبحانه، في مادة هذه العلوم. فيصبح العلم المادي في هذا الخطاب الوسطي، سبيلاً لتعميق الإيمان الديني، والعقلانية المؤمنة. وليس - كما حدث في الغرب - الذي وقف في مصادر المعرفة عند الواقع المادي وحده، وفي سبل المعرفة عند العقل والتجربة وحدهما - سبيلاً لإحلال العلم محل الدين، وجعل الدين «طبيعياً»، لا إلهياً، حتى صاح بعض فلاسفة الحداثة الغربية تلك الصيحة المنكرة: «لقد مات الله»! - عليهم لعنة الله!..

هذه هي معالم خطاب الوسطية الإسلامية، الجامعة والمتجدد، خطاب الهدايات الأربع: العقل والنقل والتجربة والوجدان. كما كان يسميها الإمام محمد عبده، وهذا الخطاب الوسطي هو أوسع الخطابات ذيوعاً وانتشاراً في عالم الإسلام

٢ ـ وثاني ألوان الخطابات الدينية الإسلامية، هو الخطاب الصوفي، الذي يركز أكثر وأكثر على خطابات الوجدان، وعلم القلوب، والإلهامات والفيوضات التي تثمرها المجاهدات الروحية. وهو خطاب له أهله، العارفون بمقاماته وأحواله، الذين يمثلون في هذه الأرض ما يمثله الملح للطعام، ضرورة لا غناء عنها، لكنها لا تكفي وحدها!

وهناك، في داخل هذا الخطاب الصوفي، ألوان من التنوع والتعدد، حسب درجات المقامات والأحوال، ووفق درجات الالتزام بأحكام الشريعة ومنطقها. وهو بالطبع ـ مغايرٌ لما في كثير من «الطرق» الصوفية من بدع وخرافات لا علاقة لها أصلاً بأي أصل من أصول الإسلام، ولا قبول لها بأي معيار من معايير عقلانية الإسلام.

٣ ـ وثالث هذه الخطابات الدينية، في الفكر الإسلامي المعاصر، هو الخطاب النصوصي، الذي ينظر أصحابه من النظر العقلي، فيقفون فقط عند حرفية ظواهر النصوص، دون إعمال للعقل في مقاصد هذه النصوص. وإذا كان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/١٠٥٨ ـ ١١١١م) قد قال عن إمام هذا اللون من الفقه والفكر والخطاب وهو الإمام أحمد بن حنبل (٦٤ ـ ٢٣١هـ/٧٨٠ ـ ٨٥٦م): «إنه لم يكن ممعناً في النظر العقلي»[٣]. فإن الإمام أحمد يؤكد على «وحدية» النص، تفاؤلاً ـ وليس فقط «أولوية» في فقه الدين والاستدلال على الأحكام. فمنهاجه في هذا الميدان هو الوقوف عند النظر وحده ـ والنظر بالمعنى العام ـ أي

[illegible] ما هو قطعي الدلالة والثبوت، الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا - كما هو معتاد عند الأصوليين - يؤكد الإمام أحمد على الحرارة الكامل إلى هذا المنهج النصوصي، عندما يحدد أصول منهجه التي نقلها عنه الإمام السلفي ابن تيمية (٦٩ - ٧٥ هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠م) فقال: إنها خمسة:

* الأصل الأول: النصوص.

* والأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة - وهي نصوص -

* والأصل الثالث: - إذا اختلف الصحابة تخيّر من أقوالهم - وهي نصوص أيضًا -.

* والأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، وتقديمها على القياس - وهي نصوص هي الأخرى -

* والأصل الخامس: القياس للضرورة

حتى يروي عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه فيقول: "سمعت أبي يقول: الحديث الضعيف أحب إليّ من الرأي"

وهو ذات المنهج - النصوصي - الذي صاغه الإمام أحمد شعرا عندما قال:

دين النبي محمد آثار	نعم المطية للفتى الأخيار
لا تخدعن عن الحديث وأهله	فالرأي ليل والحديث نهار (٤)

هذا هو القول الثالث من أبواب الخطابات الدينية الإسلامية، في واقعنا الإسلامي [illegible] وحجم هذا

خطاب وحجم جمهوره، كما يعلم كل ذي علم محدودان، بل وهامشيان إذا ما قيسا بحجم وجمهور خطاب الوسطية الإسلامية. لكن «المدار النفطي» و«الإعلام العربي» قد نفخا في حجم هذا الخطاب النصوصي الحرفي، كي يوهما أنه هو الظاهرة الأكبر والأوسع انتشاراً في عالم الإسلام، وذلك لحجب الأبصار عن الخطاب الوسطي المعتدل، ولتشويه الصورة العامة للخطاب الديني الإسلامي. وهي «لعبة» سبق ومارسها الاستشراق الغربي مع تراثنا وتاريخنا الحضاري، عندما وقفت جهود أغلب المستشرقين عند دراسة الفرق المنحرفة والضالة والهامشية في تراثنا، فرق الغلو الباطني والشخصيات القلقة في الاعتقاد، وذلك لتشويه مجمل الصورة الإسلامية، ولإبراز الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي والأمة الإسلامية، كأنها ركام من «الشذوذ» و«التشرذم» لا قوام له، ولا وحدة فيه.

٤ - وربع ألوان الخطاب الديني الإسلامي، في واقعنا المعاصر، هو خطاب الرفض والغضب والعنف والاحتجاج، وهو خطاب يمثل فصيلاً من فصائل قلقه وفكر نصوصيته الجمود والتقليد، الذي استقره بؤس الواقع الذي يعيشه المسلمون تحت هيمنة الغرب، واستبداد النظم والحكومات المصنوعة غربياً والمحروسة غربياً. فرفض هذا الفصيل طريق «الإصلاح» واختار طريق «العنف» وأدار ظهره بسنة «التدرج» في الإصلاح، وتعجل الفقر على «السلطة والدولة» بالانقلاب بدلاً من مشاق طريق التربية والتوعية وتهيئة المجتمعات الإسلامية، بإعادة صناعة إنسانها صناعة إسلامية تستكمل إسلامية سجاياه وشمائل هذا الإنسان. وهو الطريق الشاق والطويل والمضمون للتغيير، الذي مثل ويمثل منهاج الإسلام في أي تغيير

ولقد لعب الإعلام الغربي - وتبعه إعلامه المحلي - مع فصيل العنف هذا [illegible] اللعبة التي لعبها مع فصيل الجمود والتقليد، فسلط عليه كل الأضواء، كي يصل إلى المقصد الخبيث الذي [illegible] إليه [illegible] تصوير الإسلام وقرآنه الكريم ورسوله ﷺ، على أنه دين العنف والتثبيت والذبح لكل المخالفين ومع جميع الآخرين!

وإذا كانت الظواهر الفكرية والاجتماعية والإنسانية، هي تمثل الإنسان [illegible] عقل [illegible] وجسم [illegible] وعضلات [illegible] فإن فصيل العنف، والرفض، والغضب، والاحتجاج [illegible] وخطابه الديني هو تمثيله «الأنياب والأظافر» في الظاهرة الإسلامية المعاصرة [illegible] كيف [illegible] هذه «الأنياب والأظافر» من حاكمية العقل الإسلامي فأصبحت تنهش [illegible] الإسلامية وتزعزع [illegible] المجتمعات الإسلامية، [illegible] مخططات الأعداء، مع حسن نية [illegible] شباب هذا الفصيل [illegible] رأينا هذه الأنياب والأظافر، عندما خضعت لحاكمية العقلانية الإسلامية، توجه قوتها فقط إلى الأعداء، فتمثل أبشع ظواهر العصر في الفداء والاستشهاد بمعركة تحرير أرض الإسلام ومقدساته من دنس الصهيونية والاستعمار.

وهكذا نجد أنفسنا في الحديث عن الخطاب الديني الإسلامي - أمام ألوان من الخطابات الدينية، ولسنا أمام خطاب واحد، كما يحسب ويكتب الذين يهرفون بما لا يعرفون، في هذا الميدان [illegible] الذين يتفقون فيزيفون ما يعرفون!

* * *

التبديد الامريكانى لخطابنا الدينى

لقد رأينا كيف أن تجدد وتجديد الفقه والفكر والخطاب الإسلامي، هو سنة وقانون وضرورة، وليس ترفاً فكرياً، ولا مجرد منتج وحق من حقوق العقل المسلم.

ورأينا، كذلك، كيف وضع العقل المسلم هذه السنة والقانون في الممارسة والتطبيق تاريخياً وحديثاً وفي وقعنا المعاصر.

ورأينا أيضاً، أننا بإزاء خطابات إسلامية، وليس بإزاء خطاب ديني إسلامي واحد، فهناك خطاب الوسطية الإسلامية - وهو أوسع الخطابات جمهوراً وانتشاراً - وهناك خطاب الصوفي، وهناك خطاب التصوفي، المتسم بالجمود والتقليد، كما أن هناك خطاب الغضب والعنف والرفض والاحتجاج.

وإذا كانت هذه هي ألوان وأحجام الخطابات الدينية الإسلامية في الفضاءات الإسلامية، منذ فجر نهضتنا الحديثة، وحتى هذا الواقع المعاصر والمعيش، فإن هذا الذي أعلنه ويعلنه ويزيده الأمريكان، والمنظمات، والمؤتمرات، والكتاب الذين يمولهم الغرب، ويرعاهم، عن خطاب الديني الإسلامي، لا علاقة له بأي لون من ألوان التجديد، فهذا خطاب، وإنما هو نصب بكرامته في حالة «التبديد»، لا «التجديد»!.

أصبحت «صوت سيدها الأمريكي»، [illegible] تركيز كل هؤلاء على الحديث عن تجديد خطاب الدين الإسلامي، [illegible] التي يتحدث عنها الأمريكان والصهاينة، وليس [illegible] الإسلامي - الذي هو سنة وقانون من سنن الفكر عبر الزمان والمكان.

* [illegible] الرئيس الأمريكي «بوش - الصغير» «الحملة الصليبية» على الإسلام - الذي سماه «إرهابًا» - في ١٦ سبتمبر سنة ٢٠٠٠م أي قبل [illegible] في أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م حتى [illegible] من [illegible] وأفلام [illegible] والكتاب والصحفيين الأمريكان - ومعهم الكثير من نظرائهم [illegible] وتبعا لهم العديد من الحداثيين [illegible] في عالم الإسلامي [illegible] «السيوف [illegible]» [illegible] الكراهية [illegible] والإعلانات ضد الإسلام [illegible] وأمريكا [illegible] الجهاد والاستشهاد [illegible] الإسلامية [illegible] أوطانها [illegible] الأمريكية والغربية [illegible] الإسلامي [illegible] الإسلام [illegible] وذلك لتحويل الإسلام - بالعلمانية - إلى صيغة [illegible] الأمريكي، مكتسبة من الإسلام [illegible]

[illegible] الكراهية [illegible] على الإسلام [illegible] الإسلامي، [illegible] الرئيس «بوش - الصغير»

بهذه «الحملة الصليبية» وقرأنا التصريحات والدراسات والمقالات التي شارك فيها - من أمريكا - «جوزيف بيرمان» المرشح السابق للرئاسة الأمريكية - و«جون أشكروفت» وزير العدل الأمريكي و«مادلين أولبرايت» - وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق - و«صموئيل هنتنجتون» و«فرانسوا فوكوياما» و«زبيغنيو بريجنسكي» - من أبرز مفكري الاستراتيجية الأمريكيين - والكتّاب المبرزين في الدوائر القريبة من صناعة القرار الأمريكي - و«توماس فريدمان» و«ستانلي فيش» و«جوناثان ألبر» - وفسوسة اليمين الديني و«المسيحية الصهيونية» من أمثال «بات روبرتسون» و«جيري فولويل» و«هول لندسي» و«دافيد بريكر» و«فرانكلين جراهام» و«جيري فالن» و«كلارنس واجنر» و«وليام إيج بولكن» - الجنرال الأمريكي، نائب وكيل وزير الدفاع ومع كل هؤلاء الأمريكان شارك - من أوروبا - في هذه الطوفان المعادي للخطاب الإسلامي - كثيرون وكثيرون، منهم «سلفيو بيرسكوني» رئيس وزراء إيطاليا - و«توني بلير» - رئيس وزراءات انجلترا - و«مارجريت تاتشر» - رئيسة وزراء بريطانيا الأسبق - و«أوتو شيلي» - وزير داخلية ألمانيا - إلخ - إلخ

ولقد قرأنا في هذه التصريحات والدراسات والمقالات معالم هذا العداء العربي لهذا الخطاب الإسلامي - وذلك من مثل:

«إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، ولذلك يجب أن نفرغ بسرعة من الحملات العسكرية، لنعود مسلحين بالكتب لا بالديانات، لتكوين جيل إسلامي جديد، يقبل سياساتنا، كما يحب شطائرنا.

إن مشكلة أمريكا هي مع المدارس الإسلامية، التي لا تعلّم التسامح مع أمريكا وإسرائيل. وفي هذه المدارس تكمن الأيديولوجية التي هي لأن أخطر على أمريكا من شيوعية الاتحاد السوفيتي.

إن الدين الإسلامي دين عنف. والنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية المسيحية (الغربية). وآيات القرآن تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين. وإن هذه الحرب العالمية الجديدة هي حرب المدنية والحضارة (في الغرب) ضد البربرية (في الشرق). وإن الغرب سيواصل تعميم حضارته، وفرض نفسه على الشعوب. وإنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي تراها ضرورية. فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية، بل تتعداها إلى الدول الأخرى.

وإن المعركة ـ في حقيقتها ـ ليست ضد حفنة من الإرهابيين، ولا هي حتى ضد المسلمين الذين يشملهلون من السياسة الأمريكية والانحياز الأمريكي لإسرائيل. وإنما المعركة الحقيقية هي ضد الأصوليين الإسلاميين الذين يرفضون القيم الغربية، والحداثة العربية، والعلمانية العربية، والمبدأ المسيحي: فصل الدين عن الدولة. وهذا هو التحدي الأيديولوجي الذي هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية!. وإذا كانت الحرب على الإسلام غير ضرورية، فإن حربًا ضد الإسلام هي ضرورية

لتحويله إلى إسلام حداثي ليبرالي، علماني. وإن الهدف من هذه الحرب داخل الإسلام، هو تحويل التعليم الإسلامي والخطاب الديني الإسلامي إلى طريق «أتاتورك» (١٨٨١ ـ ١٩٣٨م) الذي أجبر تركيا بإصرار شديد على أن تهجر ماضيها! فالمطلوب هو إحكام السيطرة على المدارس الدينية، وإعداد أئمة مستنيرين للمساجد، لترويج أفكار الغرب، وتشكيل الذهنية العربية لدى الجيل الجديد وإعادة صياغته تجاه الصراع العربي الإسرائيلي! إن الإسلام دين الإرهاب وهو دين شيطاني وشرير، ومحمد هو الشيطان نفسه. وإن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله. إن إلهنا أكبر من إلههم. إن إلهنا إله حقيقي، وإله المسلمين صنم! وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها أمة مسيحية يهودية، وحربنا معهم هي حرب على الشيطان»(٥)

تلك بعض من النصوص التي مثلت «الإعلان الأمريكي والغربي» للحرب الصليبية على الخطاب الإسلامي، عقب الحادث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠٠م والتي نشرتها الكتب والمجلات والصحف الغربية، وتناقلتها وسائل الإعلام العالمية، وعقدت لها المؤتمرات، منذ ذلك التاريخ.

فهي [illegible] وبالاعترافات الصريحة حرب داخل الإسلام، لتحويله وتحويل خطابه الديني عن صيغتهما، ليكون خطاباً للإسلام الحداثي بالمعنى الغربي للحداثة الذي يقيم قطيعة معرفية كبرى مع

تراثه ومنهاجه الشامل للحياة. ونص عبارة هذه التصريحات - عن
صنيع «تاتورك» مع تركيا - «الذي أخبر تركيا بإطار شديد على أن
يهجر ماضيها الإسلامي» - الأمر الذي يقف بالإسلام وخطابه عند
الشعائر والعبادات والمحاريب والقلوب، فيكون علمانيا، يقبل المبدأ
المسيحي «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» - ويقبل القيم
الغربية - ومن ثم يتسامح مع السياسة الأمريكية والاستعمار
الاستيطاني الصهيوني لأرض فلسطين، وما بين النيل والفرات
أرض الوعد التوراتي لبني إسرائيل! كي يفتح الباب لهدم المسجد
الأقصى، وبناء «الهيكل الثالث» على أنقاضه، حتى يعود المسيح
عليه السلام، فيحكم الأرض ألف سنة سعيدة، بعد إبادة العرب والمسلمين
في معركة «هرمجدون» - بين القدس ويافا!!

وعقب هذا «الإعلان للحرب» على الإسلام، وخطابه الديني
المقاوم للهيمنة الأمريكية والعنصرية الصهيونية، توالت على كثير من
البلاد الإسلامية «الطلبات» و«الضغوط» و«الأوامر» الأمريكية بتغيير
مناهج ومواد التعليم الديني، وحرمان [illegible] هذا التعليم،
والوقوف به عند الشعائر والعبادات، دون شئون السياسة والحكم
والمال وحقوق الشعوب في تقرير المصير - مع خلق ثقافة الجهاد
والفداء والاستشهاد من التاريخ الإسلامي وخطاب الإسلامي.

* وبعد هذا «الإعلان» - وعقب صدور هذه «الطلبات»
و«الضغوط» و«الأوامر» الأمريكية، جاء دور العملاء الحضاريين من
أبناء الذين يسمون بأسمائنا، ويتكلمون بعبارات الذين يسمون العرب
عند «ذكائهم» التي يسمونها «المتطلبات المجتمع الدولي»

ليصبحوا «صوت سيدهم»، وليتحولوا [illegible] الدولارات الأمريكية - إلى خبراء في تجديد الخطاب الديني، وهم [illegible] واحد منهم متخصص في العلوم الإسلامية [illegible] ومن [illegible] منهم شيئاً في هذه العلوم [illegible] الإسلام [illegible] ماركسياً [illegible] حديثة [illegible] تاريخية، كي يصبح الإسلام [illegible] الطبقات.

[illegible] هؤلاء [illegible] قضايا الأمة الرئيسية - في تحرير الأرض [illegible] الإمبريالية الأمريكية [illegible] في العدل الاجتماعي [illegible] الفطري لعالم الإسلام» [illegible] على «الإفساء العلماني» في مفهومهم الأمريكي لتجديد الخطاب الديني للإسلام والمسلمين!

* * *

الفجور العلمانى
بين حدّه الأعلى.. وحدّه الأدنى

التأويل العبثى للدين:

فى كل الكتابات العلمانية، التى كتبها أحد أبناء المغربين عن الخطاب الدينى الإسلامى، تراوح الطرح بين «الحد الأعلى» الذى يريد نسخ الإسلام كدين، بدعوى «تاريخية النصوص» المقدسة والمؤسسة، أو تأويلها تأويلاً عبثياً ينزعها من خصائص الدين، على النحو الذى يحول الدين عن إلهيته فيجعله «ديناً صنعياً» «مبتسماً» و«إفراز من إفرازات العقل البشرى»، وليس وحياً إلهياً معجزاً، ونطقاً ربانياً من السماء لهداية الإنسان فى الدنيا والآخرة.

تراوح الطرح العلمانى ما بين هذا الحد الأعلى، الذى ينسخ الدين، أو يستبدل به «الدين الطبيعى»، وما بين «الحد الأدنى»، الذى لا يقنع بما دون العلمانية، التى تخرج الإسلام عن طبيعته الشاملة لكل ميادين الحياة، وتقف به عند الطبيعة النظرية، إخلاص الروح والقلوب، ومملكة السماء، تاركة الدنيا الإسلامية للقيصر الأمريكى الجديد.

[illegible] لأصبحت الأخذ لأوب [illegible] الأخذ الأعمى [illegible] "الدين الطبيعي"، و[illegible] ويجعله [illegible] نصوص [illegible] الدين الإسلامي [illegible] فكان لا بد [illegible] حدث [illegible] سنة ٢٠٠١م، [illegible] الحرب الأمريكية على الإسلام وخطاب الديني الإسلامي [illegible] يجب أن يلتحق "فولتير" (١٩٦٤-١٧٧٨م) وتصوره الطبيعي عن الدين والأخلاق، فالدين الحقيقي هو الدين الطبيعي [illegible] ولا بد من تأويل جديد يكشف عن تاريخية النصوص التأسيسية، ويجعل القراءة التاريخية - أي التنويرية - محل القراءة التبجيلية لهذه النصوص"(٦)

وفي [illegible] [illegible] النصوص [illegible] [illegible] في مؤتمر باريس، الذي نظمه وأنفق عليه الاتحاد الأوروبي - في ١٢، ١٣/ ٨/ ٢٠٠٣م [illegible] الخطاب الديني الإسلامي [illegible] الأمريكية [illegible] من فلسفة [illegible] الإسلام [illegible] فقد كتب - في سبتمبر سنة ٢٠٠٢م - [illegible] الخطاب الديني الإسلامي - بعد شهر من إعلان الحرب [illegible] على الإسلام، وفي [illegible] الإسلامية - كتب يقول: "لقد يستشهد المسلمون دائمًا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبرز توجه لسمى التسامح

للإسلام، ويتجاهلون النصوص الأخرى التي تحض على القتال والقتل والإرهاب؟! مع أن هذه النصوص التي تحض على القتال نزلت بعد النصوص التي تؤكد التسامح والمساواة»[٢٧]؟!

وهو هنا يتحدث عن المسلمين وكأنه ليس منهم [illegible] ولهم، ليس المسلمين فقط، وإنما القرآن الكريم، بأنه قد شرّع للقتال والقتل والإرهاب ضد غير المسلمين، وأن هذا التشريع للقتال والقتل والإرهاب لاحق على تشريعه للتسامح والمساواة، فكأنما آيات القتل والإرهاب - في القرآن وفق هذا الافتراء - ناسخة لآيات التسامح والمساواة! حتى لكأنه - وهو المنتسب للإسلام - المستشرق الصهيوني «برنارد لويس» الذي قال: «إن آيات القرآن تصدّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين»! أو لكأنه مؤسس «جماعة التحالف السياسي المسيحي» بأمريكا القس «بات روبرتسون» الذي قال: «إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف.. وإن أسامة بن لادن، بالنظر إلى المعنى الحقيقي لآيات قرآنية، أكثر وفاء لدينه الإسلام من آخرين»

ولقد تجاهل كل هؤلاء - من «السادة» الغربيين و«أتباعهم» المتغربين - أن آيات «سورة التوبة»، التي يغمزون فيها ويلمزون، إنما دعت إلى قتال أئمة الكفر المشركين المقاتلين بأن الحرب التي أعلنها هؤلاء المشركون على الإسلام وأمته، بعد أن فتنوهم في دينهم وأخرجوهم من ديارهم، لا لشيء إلا لأنهم قالوا: ربنا الله! فالقتال هو فقط لهؤلاء المشركين المعتدين المقاتلين الذين نقضوا عهدهم مع المسلمين، ونكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، والذين لا يرقبون في المؤمنين إلاً ولا ذمة، رحماً ولا عهداً، وهم المعتدون الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وصدوا عن سبيل الله، وأخرجوا

[illegible] المؤمنين من [illegible] وفتنوهم في دينهم [illegible]
أشد من القتل.

تلك هي صفات المعتدين المقاتلين الذين شرع القرآن - في سورة التوبة - قتالهم، قصاصاً وردّاً للعدوان. ولم تشرّع آيات القرآن - في التوبة ولا في غيرها - قتال غير المسلمين، بتعميم وإطلاق. بل لقد استثنت آيات سورة التوبة هذه من قتال المشركين الذين لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين، فطلبت احترام عهودهم لقوله تعالى: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ (التوبة: ٤)؛ كما طلبت هذه الآيات من المسلمين إجارة المشركين الذين يريدون سماع دعوة الإسلام، ثم إبلاغهم إلى مأمنهم، حتى مع بقائهم على شركهم بعد سماعهم دعوة الإسلام. ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ (التوبة: ٦). ثم إن التشريع القرآني العام في التعامل مع غير المسلمين قد أكدت عليه آيات سورة الممتحنة، التي جعلت البر والقسط لغير المسلمين - كل غير المسلمين - الذين لا يقتلون المسلمين في دينهم ولا يخرجونهم من ديارهم، كما جعلت القتال فقط للذين يحاربون المسلمين في الدين والوطن ردّاً لعدوانهم: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ (الممتحنة: ٨ - ٩). بل وحددت الآية التي سبقت هذه

لآيات المقصد الإسلامي من هذا التشريع، وهو تحقيق المودة مع المخالفين، فقالت: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ (الممتحنة: ٧)

ذلك هو القرآن الكريم... وتلك هي آيات سورة التوبة التي يعمّ ويلمّ فيها الجاهلون والمتجاهلون، من الغربيين والمغربيين، أعداء الإسلام والخطاب الديني للإسلام.

لكن... ماذا ينتظر، وماذا ينتظر الإسلام من هذا الداعي إلى نسخ الإسلام بالتأويل العبثي، وبتاريخية أحكام القرآن وحتى عقائده ومنظومة القيم التي جاءت فيه - والذي يقول عن الوحي الإلهي المعجز، ونبأ السماء العظيم: «إنه نص بشري، وخطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقًا جوهريًا ثابتًا». فالقرآن، في حقيقته، مُنتج ثقافي، تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عامًا... فالواقع أولاً، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا... إن النص القرآني منظومة من مجموعة من النصوص... وإذا كان يتشابه في تركيبته تلك مع النص الشعري، كما هو واضح من المعلقات الجاهلية مثلاً، فإن الفارق بين القرآن وبين المعلقة من هذه الزاوية المحددة يتمثل في المدى الزمني الذي استغرقه تكوّن النص القرآني... الذي انحاز - في مخاطبة النساء - لنصوص الصعاليك»[٨]

ماذا ينتظر، وماذا ينتظر الإسلام من الذي فسّر الوحي السماوي تفسيرًا ماركسيًا، بمعايير المادية الجدلية، فرآه نصًا بشريًا، وبناء فوقيًا، كوّنه البناء التحتي الاجتماعي والثقافي: «ولم يكن له وجود سابق على تشكّله في الواقع، هذا التشكّل الذي صنعته الأبنية الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية ... فهو ديالكتيك صاعد (من الواقع الأرضي) وليس ديالكتيك هابطاً»[9] منزلاً من السماء.

وكما قد اكتشف في علاقة النص القرآني بشعر المعلقات ما لم يكتشفه أصحاب تلك المعلقات ... كما اكتشف في الخيار القرآن بشعر الصعاليك ما لم يكتشفه شعراء الصعاليك أنفسهم، فأثبت تفوق صعاليك العصر على الصعاليك القدماء[11].

كما يذهب هذا الذي يريد تفريغ الإسلام من خصائص الدين - فلا تقف منحرفاته عند الخطاب الديني - يذهب على هذا الدرب إلى تأويل النبوة وتفسير الوحي «بقوة المخيلة»، التي تزيد لدى النبي في الدرجة - عنها لدى الشاعر الذي يتصل بالشيطان، والكاهن الذي يتصل بالجان. فاتصال النبي بالملك - الوحي - هو مجرد قوة مخيلة، لا إعجاز فيه ولا مفارقة له عن قوانين الثقافة البشرية المعروفة. يذهب إلى ذلك فيقول: «إن تفسير النبوة اعتماداً على مفهوم الخيال معناه: أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة، انتقال يتم من خلال فاعلية «المخيلة» الإنسانية، التي تكون في «الأنبياء» أقوى منها عند سواهم من البشر ... إن «الأنبياء» و«الشعراء» و«العارفين» قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية «المخيلة» في اليقظة والنوم على السواء. والنبوة، في هذا التصور، لا تكون ظاهرة فوقية مفارقة ... ويمكن فهم الانسلاخ أو «الانخلاع» في ظل هذا التصور على أساس أنه تجربة خاصة، أو حالة من حالات الفعالية الخلاقة ... وهذا كله يؤكد أن ظاهرة الوحي - القرآن - لم تكن ظاهرة مفارقة للواقع ... بل كانت جزءاً من مفاهيم الثقافة ونابعة من مواضعاتها وتصوراتها...»[10]

[illegible] ذهب على هذا [illegible] في [illegible] [illegible] و [illegible] ركسي للإسلام [illegible] ولكن دين من الأديان [illegible] إلى [illegible] [illegible] «الدين الطبيعي» فدعا إلى إلغاء حتى هذا الدين الطبيعي [illegible] وإلغاء كل عقائد عالم الغيب حتى ولو كانت مجرد فكر إنساني، وليست عقائد إلهية. [illegible] وصل إلى هذا الحد، فتساءل - تساؤل الإنكار والاستنكار -

وما الداعي للتردد الذي يُحل «لتلوين» محل «لتأوين»، ويتعارض مع تاريخية الوحي [illegible] ويسمح باستمرار الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء، حتى بالمعنى المجازي الوحي الطبيعي»[11]!!

فهو لا يسع تحويل «الدين الإلهي» إلى «دين طبيعي» [illegible] «حقائق الدين» إلى «مجازات» لا حقيقة فيها [illegible] [illegible] لا تردد فيه. والذي يلغي الوحي، والعقائد [illegible] في ذلك «عقائد التوحيد والبعث والجزاء» - حتى ولو كانت مجرد فكر إنساني، لا علاقة لها بالدين الإلهي!!

[illegible] «الحد الأعلى» من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ونقص الخطاب الديني للإسلام والمسلمين [illegible] [illegible] [illegible] «الديني» و[illegible] «اللاديني» عند هؤلاء»!!

وهل [illegible] [illegible] محمد ﷺ [illegible] الوحي [illegible] توحيد على ظهر هذه الأرض، [illegible] فتح صحابة رسول الله ﷺ في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الإغريق [illegible] في ثمانية [illegible]

[illegible] من فتح المحرر "فتح مصر" [illegible] على مثل ذلك [illegible] الأحلام [illegible] عليه من [illegible] النفوس

هل مع الهوان [illegible] "المفكرين المعاصرين"، الذين [illegible] العربية [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] "تجديد الإسلام". فضلاً عن خطابه [illegible] كتب في [illegible] "مقولات المحرر" [illegible] [illegible] الموحد [illegible] [illegible] [illegible] توحيد القبائل العربية في دولة واحدة [illegible] فقال

وكانت الدعوة إلى الإله الواحد تهدف إلى إحلال نظام الدولة العربية الموحدة محل النظام القبلي القائم على التصارع والتناحر، وسيكون الإله الواحد، معبود الدولة الجديدة، هو إله إبراهيم، الجد الأعلى للعرب أولاد إسماعيل"(1)

[illegible] الإلهة ليست حقيقة موضوعية، ذهب إلى أن كل الشرائع السماوية، وإنما هي مجرد "[illegible] فوقي" لـ "[illegible] التحتي" [illegible] [illegible]

[illegible] القرآن الكريم [illegible] "[illegible] النص القرآني لم ينج من آثار عمليات المحو والإثبات"(2)

[illegible] من هؤلاء [illegible] الإسلام؟

علمنة الإسلام:

وعبر الذين أرادوا تنقيد الخطاب الديني الإسلامي [illegible] الإسلام، بتأويل عقائده وأحكامه ومنظومة قيمه، تأويلاً ينزع الدين من الدين! ودعوا إلى «تاريخية [illegible] أو تاريخانية» النصوص المؤسسة للإسلام - وفي مقدمتها القرآن الكريم - لتتحول إلى «متحف العاديات الفكرية» التي تجاوزها التاريخ!

غير هؤلاء الذين ذهبوا على هذا الدرب إلى «الحد الأعلى» - الذي هو «الأسفل» في حقيقة الأمر! كان هناك الذين وقفوا عند الدعوة إلى العلمانية، وإلى علمنة الإسلام وخطابه الديني.

ولعل مثل هذا الفريق - هو الآخر - صاحب سيادة الأمريكي والغربي، الذي أعلن أن الهدف من «الحرب داخل الإسلام» هي جعله علمانياً، كما صنع به كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨م) في تركيا، بعد إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م. ونحن نقول بدعاة علمنة الإسلام وخطابه الديني - الذي لن يصبح عندئذ ديناً!

إن العلمانية قد مثلت حياة على النصرانية الغربية، مع أن هذه النصرانية مجرد وصايا روحية صوفية، لخلاص الروح [illegible] وليس فيها مرجعية للسياسة والاجتماع والاقتصاد والدولة [illegible] ومع ذلك، كانت العلمانية الغربية حياة على النصرانية الغربية، عندما استبدلت «الدين الحداثي» - دين العقل المجرد - باللاهوت والدين الإلهي، وأزاحت هذه العلمانية النصرانية من الثقافة الأوروبية. ثم عجز هذا «الدين الحداثي» عن أن يجيب على الأسئلة الصعبة والفطرية للإنسان، تلك التي كان يجيب عليها الدين الإلهي، فغدت أوروبا فراغاً عقدياً، لا هي نصرانية - كما كانت قبل العلمنة - ولا العلمانية

استطاعت من [illegible] الذي [illegible] مصرية [illegible] فقد الإنسان الأوروبي توازنه، بعينه الروح و[illegible] عن هذا الإنسان.

ويكفي أن نقدم بدعاة علمنة الإسلام وخطابه الديني شهادة شاهد من أهلها [illegible] شهادة القس الألماني وعالم الاجتماع [illegible] كوبرنر [illegible] التي [illegible] فيها: «لقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي، وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين، وانتصاره عليه، باعتباره مجرد أثر من حقب التاريخ البشري، يتلاشى باطراد في مسار التطور الإنساني. ولقد مثلت العلمنة تراجع المسيحية. وضياع أهميتها الدينية. وتحوّل معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية، والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية وحقوق المدنية. وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة وسياسة بلا دين.

ومن نتائج العلمانية: فقدان المسيحية لأهميتها فقدانًا كاملاً. وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم.. بل وزوال أهميته أيضًا كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكل عام. فسلطة الدولة، وليس الحقيقة، هي التي تصنع القانون، وهي التي تمنح الحرية الدينية.

ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها دينًا حل محل الدين المسيحي، يفهم الوجود بقوانين دنيوية، هي العقل والعلم.

لكن.. وبعد تلاشي المسيحية.. سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان التي كان الدين يقدم لها الإجابات.. فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين.. وعدت الحداثة

العلمانية غير واثقة من نفسها، بل وتُفكِّكُ أنساقَها ـ العقلية والعلمية ـ عدميةٌ ما بعد الحداثة. فدخلت الثقافة العلمانية في أزمة، بعد أن أدخلت الدين المسيحي في أزمة.. فالإنهاك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلماني الحديث. وتحققت نبوءة «نيتشه» (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م) عن «إفراز التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون (نجمهم) الذي فوقهم، ويحيون حياة تافهة، ذات بُعد واحد، لا يعرف الواحد منهم شيئًا خارج نطاقه». وبعبارة «ماكس ڤيبر» (١٩٦٤ ـ ١٩٢٠م). «لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم».

ولأن الاهتمام الإنساني بالدين لم يتلاشَ، بل تزايد. وفي ظل انحسار المسيحية، انفتح باب أوروبا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية التي لا علاقة لها بالمسيحية ـ ولا بالكنيسة ـ من التنجيم.. إلى عبادة القوى الخفية.. والخارقة.. والاعتقاد بالأشباح.. وطقوس الهنود الحمر.. وروحانيات الديانات الآسيوية.. والإسلام، الذي أخذ يحقق نجاحًا متزايدًا في المجتمعات الغربية.

لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا.. ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلماني على الإنسان الأوروبي، عندما أصبح معبدها العلمي عتيقًا!.. ففقد الناس «النجم» الذي كانوا به يهتدون. وعد الخلاص المسيحي.. ثم وعد الخلاص العلماني»[١٣]

هذه شهادة عقلاء الغرب على صنيع العلمانية بالمسيحية في أوروبا

والغرب «خراب ديني»، ثلاثة إفلاس علماني، الأمر الذي أسلم الإنسان الأوروبي للقلق، الذي جعل أوروبا - رغم الوفرة المادية والحمية الغرائز والشهوات - مكانًا لأعلى نسب الانتحار في العالم!! وجعلها - رغم الإباحية الجنسية، بما في ذلك الشذوذ - تعيش أعلى نسبة للعنف ضد المرأة.

- ففي السويد ٩٥٪ من الجنسين لهم تجارب جنسية قبل الزواج!.

- وفي النمسا قرابة ثلثي حالات الطلاق تتم بسبب العنف المنزلي.

وفي الجزائر أكثر من ٥٠٪ من القبيلات كل صحابة الزوج أو الشريك. ولقد تضاعفت حالات الطلاق في خمسين عامًا ثلاثة وعشرين ضعفًا!

- وفي فرنسا، كل عشر زيجات بينهم تسعة تتم خارج الإطار الشرعي، الكنسي والقانوني - و٥٣٪ من الأمهات يضعن مولودهن الأول خارج مؤسسة الزواج!

وفي الدنمارك، زادت نسبة المواليد غير الشرعيين خلال أربعين عامًا من ٥٪ إلى أكثر من ٥٠٪ من المواليد! وهذه هي نسبتهم في فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وأيرلندا.

- ولقد أصبح نفس حرية الشذوذ الجنسي - بكل ألوانه - شرطًا من شروط دخول الدول للاتحاد الأوروبي!

وفي أمريكا ٦٠٪ من عضوات أكبر المنظمات النسائية

سحافيات! و٨٠٪ من الأمريكيات يفقدن بكارتهن قبل الزواج! و٨٠٪ من جرائم القتل عائلية! وفيها على نسبة طلاق في العالم! ولقد ارتفعت نسبة الجريمة في ثلاثين عامًا من سنة ٩٦٠ م إلى سنة ٩٩٠ م ٥٠٠٪ و٢٠٪ من السكان يتعاطون أخطر أنواع المخدرات! وعائد الرأسمالية الأمريكية من تجارة الدعارة في الأطفال وحدهم ـ ملياري دولار سنويًا!

ـ وفي عالم العلمانية الغربية ـ التي يريدون تعميمها في بلاد الإسلام ـ ٦٠٠٠٠٠٠٠ (ستون مليونًا) من النساء يحاولن الإجهاض بكل عام! والتجارة الأولى ـ في عالم العلمانية ـ هي تجارة السلاح، تليها تجارة المخدرات، تليها تجارة الدعارة.

فهل يراد للشرق الإسلامي أن تصنع به العلمانية ما صنعت بالغرب النصراني؟!. وبعبارة أدق «بالغرب الذي كان نصرانيًا؟!» ذلك أن العلمانية قد أخرجت أوروبا عن أن تكون كما كانت قلب العالم المسيحي ـ فالذين يؤمنون فيها بوجود الله لا يتجاوزون ٤٪ ـ والذين يذهبون إلى الكنائس لا يتجاوزون ٥٪ ـ وهم يذهبون إلى الكنائس كما يذهبون إلى حفلات الرقص، بإغراءات الموسيقى الصاخبة ـ والاختلاط المخل ـ فحتى هذه الكنائس التي لم تغلق بعد ـ قد خلا الكثير منها مسيحيتها، فغدت بروح الشواذ ـ بل ودخل الفرس كهنتها في صفوف الشواذ!

بل إن العلمانية قد وصلت إنسانها إلى ألوان من الأنانية واللاأدرية والقنوط ـ عندما فقد «النجم» الذي يهديه فعرف عن الزواج والإنجاب ـ فتحللت الأسرة وتدنى معدل الخصوبة إلى حده

الأدبي - علماً في عالم العلمانية، حتى لقد شاع الحديث عن «موت الغرب»، وانقراض شعوبه. وفي مقدمة الشعوب المعرضة لهذا الخطر الشعب الإيطالي - حيث الفاتيكان! وفي ألمانيا تعلق المدارس - مع الكنائس - لقلة الأطفال والمؤمنين! وفي انجلترا نبأ البعض بزيادة عدد المسلمين على عدد الأنجليكانيين المتزمتين دينياً بعد عدة سنوات!!

فهل يريد الحداثيون المتغربون - الداعون إلى علمنة الإسلام وخطابه الديني - أن تتجرع أمتنا الإسلامية هذا الكأس المسموم للعلمنة والعلمانية؟! لتصبح إسلامياً، وتصبح أمتنا - دينياً وخلقياً واجتماعياً - على هذا الحال البائس الذي صنعته العلمانية بأوروبا والغرب؟!

وهل هذه العلمانية - التي يريد الغرب والمتغربون أن تتجرع كأسها المسموم - هي الطريق إلى تجديد الخطاب الديني في الإسلام؟!

* * *

إن الإسلام لم ولن يعرف الكهانة التي تحتكر العلم الإسلامي في فئة من الفئات أو طبقة من الطبقات. فقط، لأنه للحديث في الإسلام وخطابه الديني من «العلم»، «الاستقامة» فبدون العلم الإسلامي لا يحق لإنسان الخوض في الشأن الإسلامي! ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (الإسراء: ٣٦)، ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ (فصلت: ٣٠)

فبدون «العلم الإسلامي» يصبح الخوض في الحديث عن خطاب الديني مخارفات عاشمة تتساوى مع «العدوان»! وبدون «الاستقامة» يصبح «العلم» - في حالة وجوده - علماً شيطانياً، يفسد ويضل، بدلاً من الهداية والإصلاح

لذلك، نحن - وللقراء - أن يتساءلوا: هل من حق هذا «الحداثي - الفرنكفوني» أن يشرع لأمة محمد ﷺ، كيف تحدد خطابها الديني؟ هذا «الحداثي - الفرنكفوني» الذي

يدعو إلى تغيير الأنثى بجسدها، لأن فصاحة الجسد العاري - عنده - لا يعادلها فصاحة أخرى! فالجسد العاري «للموديل» - في مرسم الفنان - بل والجسد آدم وحواء، هو قمة البلاغة في التعبير!

* وهو يدعو إلى الاحتفال بالإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) وتزيين مبادئه التماثيلية - مع أنه هو الذي افتتح غزو الغرب للشرق، وقهر الغرب لحضارات وديانات وثقافات الشرق، قهراً دام عشرة قرون، حتى جاء الفتح الإسلامي فحرر الشرق من هذا القهر الحضاري

* ولقد شارك هذا «الحداثي الفرنكفوني» في الاحتفال بالاحتلال بدلاً من الاستقلال، احتلال «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) لبلادنا (٢٠٣ - ١٧٩٨م)، احتفل بهذا الاحتلال في ذكرى مرور قرنين عليه عامين كاملين - هما مدة ذلك الاحتلال!

* وكتب هذا الحداثي، مجدداً الشاعر الفطرية للأمة، وللإنسانية عندما قتل الصهاينة الطفل «محمد الدرة» فدعا إلى «الراهبة القتل دون «كراهية الغالب الصهيوني»! الأمر الذي يطرح السؤال

عن مراد دخل هذا «الرجل» إلى بيته فوجد من يرتكب جريمة القتل أو السرقة أو الزنا.. هل سيكره الجريمة دون المجرم؟!.. وهل تقام العقوبة على الجريمة أم على المجرم؟!

* لو لقد ذهب هذا «الحداثي الفرنكفوني» إلى حد إنكار وجود المقدسات.. فعندما سئل عن رأيه فيما «لو اصطدم المبدع الشاعر بما هو مقدس؟».. فكان جوابه: «إن المقدس ليس كائنًا خارج الشعر أو خارج الإنسان.. المقدس مقدس لأننا نقدسه.. والشاعر يفترض أنه قد غلبته النشوة، أو روح السخرية، أو الجحود، فماذا يصنع في هذه الحالة؟ نحن نتوقع دائمًا من الشاعر أن يكتب بلغة تؤدي ما يريد أن يؤديه، لكن تظل اللغة محافظة على ما لها من جمال»[1].

فالمقدس الديني - عند هذا «الحداثي الفرنكفوني» - هو جنس يخترعه من يؤمن به، ولا وجود له في الواقع والحقيقة.. والسخرية من هذا المقدس، والجحود له في خطاب «نشوة» - من صنعي، طالما كانت العبارة التي تعبر عن هذه السخرية، هذا الجحود، عبارة جميلة.. فقط لا غير!!

فهل من مثل هذا - ومثاله - يتعلم أمة محمد ﷺ كيف تجدد خطابها الديني؟!.

* * *

وصمت الجبناء
عن عورات الخطابات الأخرى

إننا نسأل هؤلاء الذين يهرعون بل يهرولون في قضية الخطاب [illegible]
[illegible]
[illegible] بتأويل [illegible] الأحكام
[illegible] هؤلاء [illegible]
[illegible] الخطاب [illegible]
[illegible]
و [illegible]

[illegible] الخطاب الإسلامي [illegible] تحتاج إلى تجديد؟!... [illegible] الخطاب الإسلامي [illegible] بالتجديد؟!

لِمَ لم يتحدث واحد منهم [illegible]
[illegible]
[illegible] في الخطاب [illegible]
[illegible] في الخطاب [illegible] الإسلامي؟ [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible]

حقيقة [illegible] في مخطوطة [illegible]
في [illegible] صحيح [illegible] ١٢، ٦ [illegible] «لقد سأل الرب آدم

- هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟

- فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت»

- فقال الرب للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حملك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك!!

ففي هذا النص التأسيسي - الذي كتب [illegible]

[illegible]

[illegible] (١٢٢١ـ١٢٧٤م)

«إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجوداً بشرياً ولا موجوداً

موحشًا؛ لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه. وإذا ما تكلمت، فإن ما تسمعونه هو فحيح الأفعى»!

وجاء - في هذا التراث - وخطابه الديني - قول القديس «توما الأكويني» (١٢٢٥ - ١٢٧٣م) عن المرأة: «لا وجود في الحقيقة إلا لجنس واحد، هو المذكر، وما المرأة إلا ذكر ناقص، ولا عجب إن كانت المرأة، وهي الكائن المعتوه والموسوم بميسم الغباء - قد سقطت في التجربة (الخطيئة الأولى). ولذلك، يتعين عليها أن تظل تحت الوصاية»!

أما القديس «أغسطين» (٣٥٤ - ٤٣٠م) فلقد دعا إلى «إخضاع النساء للرجال كما يخضع العقل الضعيف للعقل القوي»!

وقبل ذلك، جاء في رسالة «بولس» الأولى لأهل «كورنثوس»:

«فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده وأما المرأة فهي مجد الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل» - إصحاح ١١: ٧ - ٩.

وجاء في هذه الرسالة أيضًا:

«لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونًا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا. ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة» - إصحاح ١٤: ٢٤، ٢٥.

فأين هي كتابات الحداثيين والمتغربين ومؤتمراتهم المعنونة من

العرب عن تحديد هذه الخطابات الدينية؟ [illegible] ولم يصمت هؤلاء صمت القبور عن الخطاب الديني العنصري لليهودية [illegible] التي جعلت من العنصر اليهودي واحدة شعباً مختاراً [illegible] فوق جميع الشعوب، ودون كل الشعوب. [illegible] هؤلاء اليهود كل الشعوب كلاً! [illegible] ويهلكونهم هم وكل مقومات الحياة التي لديهم. وهي عنصرية [illegible] حدود "الخطاب" [illegible] الصهيونية في الممارسة [illegible] على أرض فلسطين، في [illegible] العرب وخطاباته الدينية "المسيحية الصهيونية"، في القرن الواحد والعشرين!!

لم يصمت كل هؤلاء العربيين والمعربين عن الخطاب الديني اليهودي، الذي يقول "عهده القديم" في التشريع [illegible] "وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردنّ أريحا قائلاً: كلّم إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. تملكون الأرض وتسكنون فيها [illegible] وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم، يضايقونكم في الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم" سفر العدد [illegible] ٣٣: ٥٠-٥٣، ٥٥، ٥٦.

وهذا الخطاب اليهودي هو الذي يشرع [illegible] الذي مورس [illegible] ضد الشعب الفلسطيني منذ سنة ١٩٤٨م وحتى اليوم [illegible] حتى [illegible] سبعة ملايين فلسطيني من ديارهم إلى المنافي والمخيمات والمستنقعات، دون أية حقوق للإنسان، بل ولا حتى الحيوان!

وهذا الخطاب الديني اليهودي هو الذي يشرع للإبادة التي تمارس الآن على أرض فلسطين - إبادة البشر والشجر والحجر وكل مقومات الحياة - وذلك انطلاقاً من «آيات» العهد القديم التي تقول - على لسان الرب - «إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً . فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرّمها (تهلكها) بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف . . تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد . لكي يرجع الرب عن حموّ غضبه، ويعطيك رحمة» سفر التثنية إصحاح ١٣ : ١٢ - ١٥ - ١٧ - فرحمة الرب «يهوه» مرهونة بإبادة الإنسان والحيوان، وحتى الطبيعة أيضاً! . .

كما يشرع هذا الخطاب الديني اليهودي للاستعباد الجماعي فمن ينجُ من إبادة اليهود، يقع في العبودية والاستعباد، حتى ولو كانت هناك عقود صلح ومعاهدات وعهود! يشرّع لذلك، فيقول - على لسان الرب «يهوه» - «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها، استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك . وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن . فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها تحريماً - (تهلكها إهلاكاً) » - سفر التثنية . إصحاح ٢٠ : ١٠ - ١٦ .

فالذين يسالمون ويسلّمون ويعاهدون، لهم السخرة والاستعباد والذين يحاربون دفاعًا عن مدنيتهم لهم الإبادة والهلاك!

بل ويبلغ هذا الخطاب الديني اليهودي قمة العنصرية عندما يقدس العنصر اليهودي، ويجعله شعبًا مقدسًا معصومًا، دون كل الشعوب، وفوق جميع الشعوب، ليأكل كل الشعوب، دون أن تشفق عين اليهود على أي من هذه الشعوب، أو أن يعقدوا لهم عهدًا! فيقول هذا الخطاب في «العهد القديم» - على لسان «الرب يهوه»، مخاطبًا الشعب اليهودي: «سبع شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرّمهم (تهلكهم). لا تقطع لهم عهدًا، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم. لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب. لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك، بل يجعلها على كل مبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك، لا تشفق عيناك عليهم.» سفر التثنية إصحاح ١٠٧ـ٣، ٦، ٧، ١٤ـ١٦ ـ.

فأين الحداثيون والعلمانيون ودعاة تاريخية النصوص الدينية. وأين المؤتمرات الممولة من الغرب، من هذا الخطاب الديني، الذي يمارس الآن ويطبق على أرض فلسطين، في القرن الواحد والعشرين؟!.

كما يصمتون صمت القبور على نصوص التلمود التي تقول - من خلال الخطاب الديني اليهودي - «إن غير اليهودي ليس أخًا.

لذلك، يحظر على الطبيب اليهودي معالجة غير اليهودي حتى ولو كان مقابل أجر. ولكن إذا كنت تخشاه فعالجه بأجر. ومن المسموح تجريب عقار على غير اليهودي إذا كان ذلك يخدم غرضًا معينًا.. ويحظر انتهاك السبت لإنقاذ حياة مريض غير يهودي في حالة بالغة الخطر!.. ويحظر توليد امرأة غير يهودية يوم السبت حتى مقابل أجر! وإذا ضاجع اليهودي امرأة غير يهودية، يجب قتلها، كما هي الحال بالنسبة للبهيمة، لأن اليهودي يتعرض للمشاكل بسببها!. ولأن جميع غير اليهوديات عاهرات!!. ولا يجوز النصب على اليهودي.. لكن ذلك لا ينطبق على غير اليهودي!. ولا يجوز السماح ببقاء وثني واحد (غير يهودي) ساكنًا بين اليهود، حتى ولو كانت إقامته مؤقتة، أو كان تاجرًا جوالًا!. لأنه مكتوب (في سفر الخروج): «لن يسكنوا أرضك..»!.. وينبغي أن يتلفظ اليهودي باللعنات إذا مر بجوار مقبرة غير يهودية، بينما يتلفظ بالتبريكات إذا مر بجوار مقبرة يهودية!. فكل غير اليهود مخلوقات شيطانية، ليس بداخلها أي شيء جيد على الإطلاق، حتى الجنين غير اليهودي يختلف نوعيًا عن الجنين اليهودي، كما أن وجود غير اليهودي مسألة غير جوهرية في الكون، فقد تشاكل الخلق من أجل اليهود فقط! والمرأة اليهودية العائدة من حمامها الطقسي الشهري من أجل الطهارة، يجب أن تحاذر ملاقاة أربعة كائنات شيطانية: أحد الأغيار، أو خنزير، أو كلب، أو حمار!. وإذا حدث وقابلت أحدهم يجب أن تعيد الاستحمام مرة ثانية»[5]!!

[illegible] من هذا الخطاب [illegible] يجعل العنصر اليهودي فعالًا [illegible]

معصوماً لا يُسأل عما يفعل في سائر خلق الله؟! ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (آل عمران ٧٥). ولماذا هذا الصمت المطبق عن هذا الخطاب الديني الذي يفطر عنصرية ودموية، والذي يوضع اليوم في الممارسة والتطبيق؟!.

لقد صدقت حكمة الشعبية «من يأكل عيش الخواجه يضرب بسيفه» وصدق شاعرنا القديم عندما قال:

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل المال أعناق الرجال!

ولا حول ولا قوة إلا بالله!..

* * *

وأخيراً

فإن عاقلاً لا ينكر حاجة خطابنا الديني الإسلامي إلى التجديد، لكنه التجديد الذي حدده علماؤنا بمعنى التجديد، وليس «التجديد» الأمريكاني، الذي يدعو إليه الحداثيون والعلمانيون.

إن الجامعات الإسلامية التي تخرج الدعاة، والتي هبط مستواها مع هبوط مستويات كل مؤسسات التعليم والثقافة والإعلام، تحتاج إلى وقفة جادة، تعود إلى المستوى الذي يضمن تخريج الدعاة الذين يستطيعون مواجهة التحديات الشرسة التي تواجه الإسلام والمسلمين.

وإن هذه الجامعات في حاجة إلى أن تدرس أعمال الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي والمراغي ومصطفى عبد الرزاق وعبد المجيد سليم والخضر حسين وشلتوت والطاهر بن عاشور والسنهوري وعلال الفاسي والشيخ الغزالي وغيرهم من أعلام الأحياء والتجديد - بالأمن الدرس «المذكرات الهابطة» و«الكتب السطحية» التي غدت وسيلة «للارتزاق»!.

وهذه الجامعات في حاجة إلى إحياء نهج العقلانية الإسلامية

المؤمنة، الجامعة في الخطاب الديني بين العقل والنقل والتجربة والوحدة، والتي تفقه بها الواقع والأحكام لتعقد القرآن بين فقههم، والتي تقرأ بها كتاب الله المنظور وكتابه المنظور الوحي، ويكون ـ فبذلك، وبذلك وحده، يقطع الطريق على الجمود والتقليد في خطابنا الديني، وعلى التعاقب والعلمنة لخطابنا الديني، فبالتجديد الإسلامي، لا بالتبديد الأمريكاني، يكون التقويم لما في فكرنا وخطابنا من اعوجاج.

* * *

الهوامش :

(١) محمد عبده [illegible] ج٣ ص٤ [illegible] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ط القاهرة سنة ١٩٩٣م

(٢) الأعمال الكاملة [illegible] ص [illegible] ٩٦ [illegible] محمد عمارة ط القاهرة سنة ١٩٦٨م

(٣) [illegible] الإسلام [illegible] ٢٠٠٧م

(٤) [illegible] أعلام الموقعين [illegible] ص ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٦ ، ٧٧ [illegible] ١٩٧٣م

(٥) [illegible] الإسلام [illegible] ٢٠٠٣م [illegible] (الحياة) [illegible] ١٧ [illegible] ٢٠٠٣م [illegible] ٢٠٠٣م

(٦) [illegible]

(٧) [illegible] الإسلام [illegible] ٢٠٠٢م

(٨) [illegible]

(٩) [illegible] ٩٩ [illegible]

(١٠) [illegible] ص ٣٨ ، ٥٩ ، ٥٦ ، ٦٩

(١١) ([illegible] الخطاب الديني) ص ١٧٤ ، ١٧٩

(١٢) د. نصر حامد أبو زيد (الخطاب والتأويل) ص ٣٥، ٣٦، طبعة المركز الثقافي العربي بالمغرب سنة ٢٠٠٠م

(١٣) جوتفريد كوبرين (مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا: شهادة ألمانية) ص ٢٥، ٣٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م

(١٤) أحمد عبد المعطي حجازي من حوار مع (أخبار الكتاب) التي تصدر عن اتحاد كتاب مصر عدد ٣٧ سبتمبر سنة ٢٠٠٠م

(١٥) سرتيل شاحاك (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ٤٠ وما بعدها ترجمة حسن خضر. ط القاهرة سنة ١٩٩٤م.

* * *

منشورات مكتبة الشروق الدولية
للدكتور محمد عمارة

- الإسلام والآخر.
- فى المسألة القبطية.
- الإسلام والأقليات.
- فى فقة المواجهة بين الغرب والإسلام.
- مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية.
- الغرب والإسلام.
- مقالات فى الغلو الدينى واللادينى.
- الخطاب الدينى بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى.

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
تقديم	٥
مقدمات ثلاث:	
المقدمة الأولى : التجديد ـ فى الإسلام ـ سنة وقانون .	٧
المقدمة الثانية : التجديد الإسلامى مواجهة ـ وسطية ـ	٩
ضد الجمود ـ وضد التغريب	١١
المقدمة الثالثة : تنوع وتعدد الخطاب الدينى فى الإسلام	١٣
التبديد الأمريكانى لخطابنا الدينى	٢١
الفجور العلمانى بين حده الأعلى.. وحده الأدنى	
١ ـ التأويل العبثى للدين	٢٩
٢ ـ علمنة الإسلام	٣٧
وصمت الجبناء عن عورات الخطابات الأخرى	٤٥
وأخيراً	٥٣
الهوامش	٥٥
كتب الدكتور محمد عمارة	٥٧

رقم الإيداع ٢١٧٣/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-09-1042-2

• إن خطابنا الديني إنما يتجدد بالوسطية الإسلامية الجامعة لآيات «الوحي» و«آيات الكون» وللعقل والنقل والتجربة والوجدان ولفقه «الواقع» مع فقه «الأحكام».

• وبهذه الوسطية يتصدى خطابنا الديني للجمود وللعلمانية والتغريب جميعًا.

• أما ما تريده أمريكا والغرب لخطابنا الديني، فهو عين التبديد، الذي لا علاقة له بأي لون من ألوان «التجديد» إنهم يريدون إسلامًا أمريكانيًا علمانيًا يقف عند الشعائر والعبادات، وفقه دورات المياه تاركًا دنيا المسلمين للقيصر الأمريكي، وشركاته المتعددة الجنسيات.

• وبواسطة «العملاء الحضاريين» تُكتب الأبحاث، وتُعقد المؤتمرات الممولة من الغرب لتطويع خطابنا الديني للهيمنة الأمريكية والعنصرية الصهيونية ولتفريغ تعليمنا الديني من قيم العزة والمقاومة والجهاد.

• وللتمييز بين «الطيب» و«الخبيث» بين «التجديد» و«التبديد»، يصدر هذا الكتاب، الذي يقدم «الوعي» بحقائق هذه المعركة القائمة على قدم وساق!.

الشروق EL SHOROUK
6 223002 800810
L.E 5.00